العرب
الخميس 2020/07/23
السنة 43 العدد 11770

# لماذا يغيب السود عن المسرح الفرنسي

## سيلفي شالاي تفضح العنصرية المتحكمة بأعرق مسارح العالم

لماذا يخلو المسرح الفرنسي من فرنسيين من أصل أفريقي؟ لماذا لا تزال الصور النمطية عن السود متجذرة في أذهان المخرجين؟ ولِمَ الامتناع عن منح ممثلين سود الأدوار الكبرى لمدوّنة المسرح الكلاسيكي التي تسند دائما إلى البيض؟ هل مردّ ذلك إلى إرث تاريخ الاسترقاق وماضي فرنسا الاستعماري؟ ثم كيف نفسر لجوء الممثلين البيض إلى صبغ وجوههم بالأسود عندما يؤدون أدوار شخصيات سوداء البشرة؟ أسئلة حارقة تثيرها عالمة الأنثروبولوجيا ومؤرخة فنون الفرجة سيلفي شالاي في كتاب "العرق والمسرح"، تطرح فيه قضية العنصرية التي لا تزال قائمة في فرنسا برغم الشعارات.

مسرحيون مهمشون ومقصيون

أبو بكر العيادي
كاتب تونسي

في ظرف شهد فورة عارمة ضدّ عنصرية البيض في الولايات المتحدة وفي بلدان أوروبية أخرى من بينها فرنسا، وما رافقها من تحطيم لأصنام تجار الرقيق ورموز الاستعباد، صدر كتاب سيلفي شالاي "العرق والمسرح" ليؤجج الجدل حول غياب السود عن المسرح الفرنسيّ، ودوافعه التي يعزوها بعضهم إلى عنصرية لا تفصح عن اسمها، لاسيّما أن المؤلفة استعملت مصطلحا، هو العرق.

سيلفي شالاي

**الجمهور تغير وحان الوقت ليعكس المسرح المجتمع بشكل أفضل**

هذا المصطلح تمّ إلغاؤه بمقتضى قانون 2016 المتعلق بتجديد القضاء في القرن الواحد والعشرين، ثمّ أقرّه القانون الجنائي عام 2017 وبيّن أن استخدامه لا يمكن أن ينطبق على البشر، ولكنه لا يزال قائما في الدستور الذي يؤكد أن "الجمهورية الفرنسية... تكفل المساواة بين جميع المواطنين أمام القانون دون تمييز في الأصل أو العرق أو الدين". وقد لجأت إليه الكاتبة لتوصيف ظاهرة ووضعها في إطارها، حتى وإن اعترض عليه جانب هامّ من رجال المسرح، ينفي اختيار الممثلين من منطلق عنصري.

### تهميش عنصري

الإقصاء الذي يواجَه به السود في المسرح الفرنسي ليس جديدا على سيلفي شالاي، فهي من المهتمين القلائل بهذه المسألة، إذ سبق أن عالجته عام 1995 في رسالتها الجامعية "من الأسود إلى الزنجيّ من خلال المسرح الفرنسي (1550–1960): صورة الأسْود من مارغريت دو نافار إلى جان جيني"، ثم واصلت بحوثها عن مدى حضور أصلاء أقاليم ما وراء البحار الواقعة تحت الحكم الفرنسي والفرنسيين من أصول أفريقية في الفنون بعامة، وفي المسرح بخاصة.

وأوضحت في هذا الكتاب أن تلك الفئة من الفرنسيين قليلة الحضور في المسرح الفرنسي أو أنها موضوعة في دركه الأسفل، تُستخدم في أدوار هامشية تثبّت الصور النمطية المتدنّية للسود، تلك التي كانت تفقدهم إنسانيتهم منذ بداية الاسترقاق إلى مرحلة الغزو الاستعماري في القرن التاسع عشر. ثم جاء المسرح، وكذلك السينما والإعلانات الإشهارية، ليكرّس تلك الصورة ويرسّخها في أذهان المتلقين البيض.

ومسألة حضور الفنانين غير البيض على خشبات المسارح الفرنسية لا تُطرح دائما بالطريقة نفسها. فمنذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى أواسط السبعينات، لم يكن المخرجون يترددون في منح السود أدوارَ بيض، ولكن المنعرج بدأ في نهاية ما عرف بـ"الثلاثين المجيدة"، وهي الفترة التي شهدت فيها فرنسا نهضة صناعية واقتصادية هائلة، تغيرت إثرها صورة الرجل الأسود، وصار ينظر إليه كمهاجر أو عاطل.

ولئن فتحت السينما والتلفزيون والشركات الإشهارية الباب أمام السود، فإن المسرح لا يزال يتمنّع عليهم. وكان من أثر غيابهم عن الخشبة إيعاز ضمني بأن عليهم أن يقنعوا بالحديث في أعمالهم عن أصولهم الأفريقية أو الكاريبية، ما يعني أن حصرهم فيها يعكس تشرّبا لاوعيا لمعيار وتاريخ كولونيالي لا يزالان يكيفان الأذهان برغم مرور ثلاثة أجيال على حروب الاستقلال التي خاضتها البلدان المستعمَرة، وهو ما يدلّ دلالة عميقة على وجود أمر سياسي غير معلن، يقع بين أزمة التمثيل الديمقراطي وكتابة السردية القومية. فالفن التصويري ثم الفرجة الحية والسينما كرّست مخيالا ساهم في خلق نمطيّات وأحكام مسبقة وتهويمات أدّت إلى "العَنْصرة"، وهو مصطلح أوجده علم الاجتماع في نهاية السبعينات لتصنيف المجموعات الاجتماعية حسب خصائصها البيولوجية، كما بيّنّا في مقالة سابقة (جدل فرنسي متجدد في المسألة العِرقية – مجلة الجديد، العدد 62، مارس 2020).

هذا التنظير التدريجي لظاهرة حدثيّة فعلية تتمثل من جهة في حصر الممثلين السود في أدوار كتبها مؤلفو الزنوجة أو في أدوار المهاجر والغريب، ومن جهة أخرى في غرس محظور دام قرونا يمنعهم من أداء أدوار المدونة الكلاسيكية الفرنسية والعالمية، رافقته محاولات جادة ركزت على جمالية التعدد الثقافي، ودافعت عن حضور السود في أعمالها، على غرار جان فيلار حين عهد لممثل من أصل سنغالي بدور البطولة، أو جان سيرّو الذي أقحم في مسرحياته ممثلين من كل الأجناس، وأسند هو أيضا دور البطولة في مسرحية "الإنسان بالإنسان" لبرتولدبريخت لممثل من أصل سينغالي.

كذلك روجي بلان الذي منح دور دون جوان لممثل من غوادلوب، أو بيتر بروك الذي فتح مسرحه للملوّنين، أو المؤلف برنار ماري كولتيس الذي كان يشترط أن يتقمص أدوارَ السودِ في مسرحياته سودٌ وأدوارَ العرب عرب. ولكنها ظلت محدودة ولم تغير العقلية السائدة، ما خلق نوعا من الميز العنصري يغلفه أصحابه بميز اجتماعي. وزاد في تعميقه ظهور ما يشبه محميات الهنود الحمر، إذ تمّ بعث مهرجانات خاصة بالسود وحدهم كـ"مهرجان الفرانكوفونيات" في ليموج، و"المدرج" في باريس و"كنيسة الكلمة المجسّدة" في أفينيون من أواسط الثمانينات إلى نهاية التسعينات.

### الجمهور تغير

هذا الميز لم يواجَه بسياسة تمييز إيجابي حقيقية أو بسياسة محاصصة، بل إن السلطات العامة لم تسع إلى وضع برامج تكوين يشجع الأقليات إلا لماما. ما دفع بالجيل الجديد من الممثلين السود إلى إعلاء أصواتهم والتنديد بما عدّوه صراحة ميزا عنصريّا، فقد رفضوا أن يقع التعامل معهم حسب لون بشرتهم، سواء من خلال مؤلفات جماعية مثل كتاب "سوداء ليست مهنتي" الذي أشرفت عليه الممثلة أيسا مايغا، أو عبر تحركات عنيفة أحيانا، كالذي قامت به عدة جمعيات سوداء حين عمدت في ربيع العام الماضي إلى سدّ منافذ جامعة السوربون، حيث كان مقررا عرض مسرحية إسخيلوس "اليومنيديات" أو "المتضرّعات، راجيات الخير"، بسبب لجوء المخرج فيليب برونيي مدير فرقة ديمودوكوس إلى ممثلات بيض تقنّعن بالأسود لتقمص أدوار شخصيات سوداء، بدعوى حرية الخلق والإبداع.

فبروني شأن كثير من رجال المسرح، ينكر التحيّز، ويؤكد على حريته التامة في اختيار الأجدر لهذا الدور أو ذاك، وإذا كان السود لا يظهرون كما يرغبون فذلك راجع في اعتقاده إلى ظروفهم الاجتماعية وتكوينهم الفني الذي هو من مشمولات المؤسسات الراعية. وما ذلك في نظر لويس جورج تان، أحد أعضاء الهيئة التمثيلية للجمعيات السوداء، إلا تعبير عن عنصرية لاواعية لبعض من يدّعون الاعتدال في اليسار واليمين على حدّ سواء، فهم الذين يعطلون دائما كل تقدم.

والكاتبة تقترح الخروج مما تسميه حظيرة انغلق سياجها على فئة من الفرنسيين، فالجمهور تغير منذ أواخر القرن الماضي، والوقت قد حان كي يعكس المسرح المجتمع الذي ينشط فيه بصورة أفضل، وينفتح على التنوع الذي يزخر به. فهي لا تطرح في كتابها قضية العرق في المسرح بهدف البرهنة على وجودها بل لحث الناس على تجاهلها حتى يتعلم الجميع، بيضا وسودا، التمثيل معا بشكل مغاير ويفكّوا أحابيل المخيال الكولونيالي الذي انبنى عند ابتداع العرقية.

تقول سيلفي شالاي "أن يكون المرء معنصَرا فذلك يعني حصره في لون بشرته ودوره كأسود وأفريقي، ويعني فوق ذلك إقصاءَه من السردية الوطنية، وكأن استقلال الدول المستعمَرة سابقا أنسى الناس أن تاريخهم مشترك".

# «دبي للثقافة» تطلق مسابقة «صناعة الأفلام القصيرة»

دبي – أطلقت هيئة الثقافة والفنون في دبي "دبي للثقافة" مسابقة لصناعة الأفلام القصيرة بعنوان "إبداع دبي في صناعة الأفلام القصيرة"، داعية الهواة والمحترفين في هذا المجال الإبداعي محليا وعالميا من سن 15 وما فوق للمشاركة في هذه المسابقة التي تهدف إلى تشجيع المنافسة بين الموهوبين من الشباب في إظهار إبداعاتهم عبر صناعة فيلم قصير يتميز بالمفهوم الهادف وجودة المحتوى والفكرة، وتوظيف المهارات الإخراجية بأقل التكاليف.

تأتي هذه المبادرة في إطار الرؤية الثقافية الجديدة لدبي والتي تهدف إلى جعل الإمارة مركزا للثقافة وحاضنة للإبداع وملتقى للمواهب. كما تتناغم مع التزام "دبي للثقافة" بدعم المواهب الشابة الواعدة وتحفيز الطاقات الإبداعية الخلّاقة في حقل صناعة الأفلام القصيرة وتوظيف الوسائط المرئية والمسموعة في رواية القصص والتعبير عن الذات.

وأشارت "دبي للثقافة" إلى أن التقديم للمسابقة يستمر حتى 15 سبتمبر، ليتم الإعلان عن الأفلام الثلاثة الفائزة في 15 أكتوبر من هذا العام، وهي متاحة أمام صناع الأفلام القصيرة والمهتمين بالفن السينمائي.

ويُنتظر من المبدعين الذين لديهم شغف لرواية القصص من أي نوع أن يقدموا أفلاما قصيرة ذات جودة عالية بأفكار جديدة ومبتكرة، وتحمل رسائل سامية وهادفة في واحدة من أربع فئات للأفلام، تشمل: الروائي والصامت والكوميدي والوثائقي، على ألا تتجاوز مدة الفيلم 15 دقيقة. كما أن المسابقة مفتوحة للأفلام التي يتم تصويرها عن طريق جميع أنواع الوسائط والكاميرات بما في ذلك كاميرات الأجهزة الذكية.

وأشارت فاطمة الجلاف، مدير إدارة الفنون الأدائية بالإنابة في هيئة الثقافة والفنون في دبي، إلى الأهمية الثقافية والإبداعية التي تمثلها هذه المبادرة، مؤكدة أن مسابقة "إبداع دبي في صناعة الأفلام القصيرة" توفر منصة ثمينة لتعزيز قطاع الأفلام القصيرة محليا وإقليميا وعالميا وإتاحة آفاق مبتكرة جديدة أمام روّاده لعرض إبداعاتهم وصقل مواهبهم وتنميتها، والحصول على نظرة خبيرة على أعمالهم من قبل المختصين في صناعة الأفلام، ما يسهم في وصولهم إلى الاحتراف، وتهيئة جيل سينمائي واعد قوامه صنّاع الأفلام في إمارة دبي ودولة الإمارات. كما تعتبر فرصة لدعم التنوع الثقافي والتلاحم الاجتماعي في الدولة التي تحتضن في نسيج مجتمعها أكثر من 190 جنسية.

وأضافت أن هذه المبادرة تأتي في إطار الرؤية الثقافية الجديدة لدبي المتمثلة في تطوير منظومة إبداعية متكاملة مزدهرة تستقطب الشغوفين في مجالات الفن والإبداع والثقافة، المحترفين منهم والناشئة من المنطقة وجميع أنحاء العالم للعمل والعيش في دبي.

ويشترط في الأفلام المشاركة أن تكون مستوفية لأحكام المسابقة التي تتضمن ألا يكون الفيلم قد سبق بثه أو عرضه على أي قناة تلفزيونية، أو موقع رقمي أو إلكتروني، أو هاتف متحرك، أو أي وسيلة عرض عامة متعارف عليها، أو ألا يكون قد شارك في مسابقات أخرى. كما ينبغي تقديم نسخة العرض النهائية للفيلم القصير بصيغة MP4. إضافة إلى ذلك، يجب أن يمتلك المشارك جميع حقوق الملكية الفكرية في عرض الفيلم المشارك، وتعتبر المشاركة في المسابقة إقرارا من صاحبه بالموافقة على عرض فيلمه عبر قنوات التواصل الاجتماعي الخاصة بالهيئة، واستخدامه في أي حملات إعلامية أو تسويقية خاصة بالمسابقة.

كما تحتفظ "دبي للثقافة" بالحق في استبعاد أي فيلم يتجاوز المدة المسموح بها، أو يحتوي على مشاكل تقنية في الصوت والصورة بشكل يعوق عرضه، أو إن كان يحتوي على مادة مسيئة أو عنصرية أو مخالفة للأعراف المعمول بها في الدولة.

وسيتم اختيار 3 أفلام للفوز في المسابقة عبر لجنة تحكيم خاصة بها تم اختيار أعضائها من بين أبرز الخبراء المتمرسين في هذا المجال الإبداعي، حيث ستعرض الهيئة الأفلام الفائزة على قناة "يوتيوب" الخاصة بها، وستنظم حملة إعلامية وترويجية لها. وفضلا عن إتاحة الفرصة أمام الفائزين الثلاثة لترويج أعمالهم وصقل مواهبهم، سيحظون أيضا بجوائز عينية رمزية هي عبارة عن 3 هواتف ذكية أو كاميرات صغيرة الحجم.

**المسابقة مفتوحة أمام المبدعين الشغوفين برواية القصص ليقدموا أفلاما قصيرة بجودة عالية وأفكار مبتكرة**

# أول مهرجان دولي للفنون التشكيلية بصور

صور (لبنان) – أعلنت إدارة «مسرح إسطنبولي» و«جمعية تيرو للفنون» عن إقامة الدورة الأولى من «مهرجان صور الدولي للفنون التشكيلية» في الفترة الممتدة من 26 إلى غاية 31 يوليو الجاري في «المسرح الوطني اللبناني» بمدينة صور.

ويتضمن المهرجان عروضا سينمائية وموسيقية، ومعرضا للصور الفوتوغرافية والرسومات التي شاركت ضمن الحملة الإلكترونية تحت شعار «نرسم ضد العنصرية» ومن أجل المساواة وحرية التعبير ورفضا للتمييز، وشارك فيها حوالي 72 فنانا من 12 دولة وهي العراق ومصر والكويت وفلسطين والجزائر واليمن والمغرب وسوريا وفرنسا وإسبانيا وإيطاليا والبرازيل.

كما أقيمت خلال الحملة دورات تدريبية أون لاين للأطفال والشباب لمساعدتهم على الرسم. وسيقام المهرجان بالتعاون مع ملتقى الألوان وذلك ضمن شروط إجراءات السلامة العامة والمحافظة على التباعد الاجتماعي ويسمح بدخول 30 في المئة فقط من طاقة استيعاب المسرح الوطني اللبناني، وسيتم بث جميع فعاليات المهرجان عبر مواقع التواصل الاجتماعي طيلة أيام المهرجان.

وأكد مؤسس "المسرح الوطني اللبناني" الممثل والمخرج قاسم إسطنبولي أن المعرض سيقتصر على عدد قليل من المشاركين والجمهور والفنانين، على أن تستكمل فعالياته افتراضيا.

**المهرجان يتضمن عروضا سينمائية وموسيقية، ومعرضا للرسوم التي شاركت ضمن حملة «نرسم ضد العنصرية»**